مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية. | المجلد05/ العـدد 02(2021)، ص ص 221-234

النظام الإداري لدولة محمد أحمد المهدي في السـودان 1881م-1885م

The administrative system of the state of Muhammad Ahmad Al-Mahdi in Sudan 1881-1885AD

عامر زناتي

جامعة الشهيد زيان عاشور الجلفة

Ameur.zenati@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: ..11...../...05..../...2021...تاريخ القبول: ...24.../...06...../...2021.....

ملخص:

قامت ثورة محمد أحمد المهدي 1881م-1885م في مجتمع شـديد التمسـك بالإسـلام، عميق الاعتقاد في الأولياء وكراماتهم، تنازعه الولاءات الطائفية والجهوية، وفي منطقة مختلفة وبعيدة عن مراكز الاطلاع على الجوانب التي يمكن الاستفادة منها في منجزات النهضة الغربية فكان لابد لها أن تكون ذات طابع ديني يرتكز على تجديد الإسلام بنبذ البدع ومحاربة مظاهر التخلف فيه، كالحركات الصـوفية، والاعتماد على اجتهادات الأجيال السـابقة والعودة به إلى جوهره الأصـيل باعتماد القران والسـنة، كخيار موضـوعي ووحيد أمام الثورة لتنهض به كل الجماهير وتضـمن تنازلها عن ولاءاتها الطائفية والجهوية.

كلمات مفتاحية: محمد أحمد المهدي، السودان 1881م، المهدية، الثورة المهدية، مهدي السودان.

Abstract:

The revolution of Muhammad Ahmad Al-Mahdi, 1881 AD -1885 AD, took place in a society strongly adhering to Islam, with a deep belief in the saints and their dignities, disputed by sectarian and regional loyalties, and in a different region far from the centers of knowledge about the aspects that could be used in the achievements of the Western Renaissance, so it had to be of a religious nature It is based on the renewal of Islam by rejecting heresies and fighting the manifestations of backwardness in it, such as the Sufi movements, relying on the jurisprudence of previous generations and returning it to its original essence by adopting the Qur'an and the Sunnah, as an objective and only option in front of the revolution in order for all the masses to advance it and ensure that they abdicate their sectarian and regional loyalties.

Keywords:

Muhammad Ahmad al-Mahdi, Sudan 1881 CE, Mahdia, Mahdist Revolution, Mahdi Sudan.

مقدمة:

في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وصل الوضع في السودان إلى مفترق الطرق، فالوضع السياسي الذي كان سائدا فيه أوصله إلى حافة الانهيار، وهذا بمعاناة السودانيين إلى درجة لم يعد يحتملها أهالي السودان من ظلم وتعسف للإدارة التي كانت قائمة أنذاك، وفظاعة الضرائب التي كانت مفروضة على السودانيين، هذا الظلم الذي شجع السودانيين للانتفاضة ضده وضد الحكم القائم أنذاك، وتحقق ذلك في شخصية محمد أحمد الذي ادعى المهدية، واستطاع في فترة ليست بالكبيرة أن يحقق مالم يتحقق في الفترات السابقة، ففي الفترة الممتدة من 1881م إلى 1885م استطاع بثورته أن يحقق الانتصار تلو الأخر، إلى أن دخل الخرطوم، وبدخوله للخرطوم أخذ في وضع الدعائم الأساسية لنظام حكمه، فياترى كيف كان نظام حكمه؟

1- النظام الإداري في دولة المهدي : تحولت ثورة محمد أحمد المهدي[1] خلال السنوات الأربع – 1881م . 1885م – التي مضت فيها، بين إعلان محمد أحمد أنه المهدي في آبا ووفاته في أم درمان، من حركة احتجاج ديني إلى حكومة إسلامية عسكرية، تميزت بخصوصية فريدة من نوعها جعلها في مصاف الثورات الكبرى[2]فهي أولا ثورة شعبية حررت السودان من الحكم الأجنبي و بهذه الصورة هي ثورة وطنية أي ثورة تحرر وطني ، فبعد احتلال الانجليز لمصر أصبحت الثورة واقعيا ضد الإنجليز، وثانيا هي ثورة تجديد ديني، بمعنى أنها تجاوزت وتخطت كل الأطر التقليدية الدينية التي كانت موجودة في السودان والعالم الإسلامي، فرفع المهدي العمل بالمذاهب وألغى الطرق الصوفية، وثالثا هي ثورة اجتماعية فهي تصدت لعادات وتقاليد اجتماعية كانت موجودة في المجتمع السوداني ورابعا يمكن القول أنها وحدت سودان وادي النيل و سودان غرب السودان [3].

---

(1)- ولد محمد أحمد بن عبد الله في 12 أوت 1844م الموافق لـ 27 رجب 1260هـ في جزيرة الخناق المعروفة بلبب الواقعة جنوب مدينة العرض وهي قاعدة إقليم دنقلة ، من أبوين دنقلاويين من قبيلة كانت تدعى الخنايقية تسكن هذه الجزيرة، وتتكون الأسرة من أربع أبناء هم محمد ومحمد أحمد وحامد وعبد الله ، وبنت اسمها زينب ، أما أمه فاسمها جارة وهم ذرية رجل صالح يسمى بالحاج شريف ، الذي اشتهر بالعلم والتقوى في أواسط القرن السابع هجري 07 هـ تعلم محمد أحمد القراءة والكتابة وحفظ شيئا من القرآن في خلاوي كرري والخرطوم ، مالت نفسه إلى التصوف فتتلمذ على رجال الطرق الصوفية منه الشيخ محمد الشريف نور الدايم والشيخ القرشي ود الزين، وبعد أن لاحظ الظلم الذي تعيش في بلاده أخذ في دعوته السرية ، ثم أعلن بعد ذلك أنه المهدي المنتظر وأخذ في مقاومة الوجود المصري العثماني، وبعد دخوله الخرطوم توفي في 22 جوان 1885م أنظر: علي الجابري، (1975م)، الحركة المهدية في السودان، مجلة الثقافة الجديدة، العدد 76، بغداد، العراق، ص77. وأيضا: عبد الودود شلبي(2001م)، الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته، مكتبة الآداب، مصر، ص 18.

(2)- Rolland Oliver and Gervase Mathew ,History of East Africa ,voll 01, Oxford university press ,London , p 343.

(3)- الصادق المهدي،(2006م)، نحو ثورة ثقافية، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ص 26.

كانت سلطة المهدية ونفوذها في فترة الحكم المهدي القصيرة تعتمد أساسا على سمعته الشخصية، وشهرته كزعيم ديني، وكانت أم درمان هي عاصمة الدولة بعد أن خربت الخرطوم، فتحولت من قرية صغيرة إلى مدينة كبيرة، وأطلق عليها اسم البقعة المباركة فأصبحت بذلك عاصمة الحكم ومركز الدعوة و الإرشاد، وأول مراكز الثقافة في الدولة[4] ولم يغفل المهدي عن تنظيم إدارته تنظيما محكما، أعطاها صبغة دولة المهدية وقد نظم هذه الحكومة بين ثلاثة عناصر حسب هولت هي قيادة المهدية العليا، والنظام المالي ، والنظام الاقتصادي[5] . لما ظفر المهدي بحملة يوسف باشا رتب جيشه على ثلاث فرق، الفرقة الأولى مؤلفة من قبائل السودان الغربي، ورايتها سوداء وقائدها عبد الله التعايشي، والفرقة الثانية رايتها خضراء وقائدها علي بن محمد حلو وهي مؤلفة من القبائل التي تسكن ضفتي النيل الأبض والقبائل التي تسكن الجبال التي حول جبل قدير والفرقة الثالثة من قبائل السودان الأوسط أي أقاليم الخرطوم وبربر ودنقلة وسنار وجعل قيادتها إلى ابن عمه الخليفة محمد شريف حامد الذي لقبه بخليفة الكرار، وجعل القيادة العامة لأخيه محمد عبد الله، وأسند القضاء بين الناس إلى الشيخ أحمد بن جبارة [6]وبعد توالي الانتصارات المحققة استطاع المهدي أن يضع لدولته نظاما خاصا وهذا ما سنحاول التطرق إليه.

1-1 المهدي :

شغل المهدي في نظام القيادة مكانة عليا وفريدة من نوعها وهذا حسب هولت أنه منصب من عند الله [7]، لذا فإن النظام السياسي ارتكز أساسا على فكرة المهدي المنتظر، وقبل أن يعلن أنه المهدي المنتظر كان مركزه يقوم على كونه صاحب طريقة دينية، ويمارس سلطاته الروحية على مريديه، والصلة التي كانت تمكن الراغب الجديد بالانخراط في الطريقة هي البيعة، لذا نجد أن المهدي واصل على هذه السيرة والأسلوب التقليدي، وكانت البيعة تتم وفقا للعبارات التالية ((بايعنا الله ورسوله ومهديه وبايعناك على توحيد الله وأن لا نشرك به أحدا ولا نسرق ولا نزني ولا نأتي ببهتان ولا نعصيك في معروف، بايعناك على زهد الدنيا وتركها والرضى بما يريد الله رغبة فيما عند الله والدار الآخرة ، وأن لا نفر من الجهاد))[8] .

وبعد أن غادر الجيش البريطاني الخرطوم، أصبح المهدي هو حاكم السودان المطلق كل طلباته مجابة، وكعادة القادة في عهد الإسلام كان له ما أراد من حريم وكل ما يطلبه من غنائم الحرب، هذا الأمر الذي ربما

---

(4)- محمد أبو سليم،(1989م)، الحركة الفكرية في المهدية، دار جامعة الخرطوم، الخرطوم، السودان، ص53.

(5)- هولت، الدولة المهدية في السودان، (1978م)، ترجمة جميل عبيد، مراجعة احمد عبد الرحيم مصطفى، دار الفكر العربي، لبنان، ص 127 .

(6)- إبراهيم فوزي باشا،(1319هـ) السودان بين يدي غرودون وكتشنر، الجزء الأول، طبع على نفقة مؤلفه، إدارة جريدة المؤيد الخرطوم، السودان، ص 91.

(7)- هولت، نفسه، ص 127.

(8)- نعوم شقير، (1967م)، جغرافية وتاريخ السودان، الطبعة الأولى، دار الثقافة، لبنان، ص ص 974 975.

نظرت إليه بعض العقول في الغرب كتجاوزات صارخة، كما عم الخير على أتباعه أيضا، وحتى المدينة نفسها لم تكن صالحة للمعيشة مع كثرة المستنقعات، فاختار المهدي مدينة أم درمان على الضفة الغربية للنيل[9] وبنى لنفسه مسكنا وجامعا، ومخازن لأموال الدولة وأسلحتها [10] والملاحظ أن المهدي تفرغ في فترة حكمه القصيرة للشؤون الدينية ، ولكتابة الرسائل والمنشورات[11] أما الشؤون الإدارية الأخرى الخاصة ببيت المال والأسرى والقيادة العامة للجيش، وغير ذلك من شؤون الإدارة فقد تركزت كلها في يد الخليفة عبد الله التعايشي[12] لذا فقد قال الكتاب ((أن المهدي روح الحركة، بينما التعايشي رجل الإدارة والتنفيذ .))[13] واختص المهدي أيضا بالنظر في حالات العفو عن المتمردين التائبين، وكذلك تعيين كبار قادة النظام، وبصفة عامة فقد اختص محمد أحمد المهدي بوضع المبادئ العامة للحركة .

1-2 الإدارة الداخلية والجيش:

---

(9)- قيل في مناسبة اختيار هذا الموضع أن المهدي خرج في جماعة من أصحابه وهو على جمل أطلق له العنان فسار الجمل من أبي سعد شمالا حتى برك في الموضع الذي به القبة الآن. أنظر: محمد إبراهيم أبو سليم، (1979م)، تاريخ الخرطوم، ط 03، دار الجيل، لبنان، ص 85.

(10) - وينتسون تشرشل، (2006م)، تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان، ترجمة عز الدين محمود، مراجعة يوسف حسن، الطبعة الأولى، دار الشروق، مصر، ص 74.

(11)- ترك المهدي كتاب من الحجم الصغير يحتوي على 128 صفحة أطلق عليه الراتب، تضمن عدة آيات منتقاة ومجموعة من الأدعية وهو مقسم إلى عدة أقسام، إضافة إلى تلك المنشورات التي كان يكتبها وكذلك الفتاوى التي كان يفت فيها، وهي موجودة في ستة مجلدات. أنظر محمد سعيد القدال،(1992م)، الإمام المهدي محمد بن عبد الله 1844م – 1885م، الطبعة الأولى، دار الجيل، لبنان، ص 152 .

(12)- عبد الله التعايشي: ولد عبد الله التعايشي في جنوب دارفور حوالي سنة 1264هـ الموافق لـ1846م، من قبيلة التعايشية أحد أفخاذ قبائل البقارة، وعندما نشبت الحرب بين الرزيقات والزبير رحمه سنة 1873م ، وقع عبد الله التعايشي في الأسر وأمر الزبير بقتله ، ولكن العلماء اعترضوا لان الشرع لا يسمح بقتل الأسير في الحرب فضلا عن أن السياسة تنكر عليه قتل رجل يعتقد الناس صلاحه، كان عبد الله التعايشي القادم من غرب السودان رجل قوي الشخصية شعر بما يشعر به السودانيون من سخط وثورة ، وقد تعرف على عبد الله المهدي في جزيرة آبا، ومنذ 1299هـ الموافق 1881م أصبح لعبد الله المكانة الأولى في قلب محمد أحمد، وكان مستشاره الأول ، وظل نفوذه يتصاعد كلما علا شأن الدعوى المهدية ، وتقوت الصلة بينهما ، وصار عبد الله التعايشي اليد اليمنى لمحمد أحمد المهدي ، وشارك في كل المعارك التي واجهت محمد احمد المهدي، وبعد أسبوع من سقوط الأبيض في 17 ربيع الأول 1300هـ -الموافق 26 يناير سنة1883 أصدر المهدي منشورا بشأن عبد الله بن محمد التعايشي أعلن فيه انه خليفة أبو بكر الصديق باعتباره أول المصدقين بالمهدية ، بهذا احتل الخليفة عبد الله مركزا خاصا ، وهو خليفة الخلفاء ، وصار أيضا أمير جيش المهدية، وبعد وفاة المهدي تولى الخلافة من بعده وعرف عهده عدة صراعات توفي في 1898/02/24م انظر: سالم عمر بابكور،(2000م)، أوضاع السودان في عهد الخليفة عبد الله التعايشي، الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار التاسع، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ص ص 3 4 5.

(13)- شوقي الجمل، تاريخ سودان وادي النيل حضارته وعلاقاته بمصر من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر الطبعة الأولى، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، 2008م، ص 676 .

يذكر نعوم شقير أن محمد أحمد المهدي بعد سقوط الخرطوم أقام مجلسا إداريا وهذا لاتساع الأشغال الإدارية التي جعلت منه يعجز عن النظر فيها بنفسه، لا سيما أنه كان إذ ذاك يهتم بتأمين حدوده مع جيرانه، فاختار سبعة من الأمناء وعهد إليهم بالنظر في جميع الأمور الإدارية، وأمرهم بأن لا يقطعوا في أمر إلا بعد عرضه على الخليفة عبد الله التعايشي، وقد أجاز لهم أيضا الحكم بالقتل دون استئذانه ((... قد سبق منا مرارا وتكرارا أن أمر تلك الجهة مفوض منا إليكم ولو بقتل أحد في الحق ...)) [14] .

كان المهدي قد نقل سلطاته إلى خلفاء أربع على غرار الخلفاء الراشدين، وكان هؤلاء الخلفاء حسب الترتيب هم : عبد الله التعايشي، وعلي ود حلو، والمكان الثالث خصص للسيد محمد المهدي السنوسي وقد رفض أن يشغله[15] أما الرابع فهو الخليفة محمد الشريف بن عم المهدي .

تمت هذه التعيينات بناءا على التعليمات التي جاءت في رؤيته حيث يذكر ((... ثم حصلت حضرة عظيمة عين النبي صلى الله عليه وسلم فيما خلفه من أصحابه من أصحابي ، فإذ أجلس أحد أصحابي على كرسي أبي بكر الصديق، وأحدهم على كرسي عمر وأوقف كرسي عثمان فقال هذا الكرسي لابن السنوسي إلى أن يأتيكم بقرب أو بطول وأجلس أحد أصحابي على كرسي علي رضوان الله عليهم، ولازالت روحانيتك تحضر معنا في بعض الحضرات مع أصحابي الذين هم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم.))[16] .

وأكد محمد أحمد المهدي على مكانة الخليفة عبد الله التعايشي ((.. فهو خليفة الصديق المقلد بقلائد الصدق والتصديق، هو خليفة الخلفاء، وأمير جيش المهدية، قضاؤه هو قضاء رسول الله، وجميع أفعاله و أحكامه محمولة على الصواب...)) [17] قسم الخليفة التعايشي السودان إلى ست مقاطعات، وعلى رأس كل مقاطعة عين أمير عسكري يقود الجند، ويتصرف في هذا الإقليم، وهذه المقاطعات أو العمالات هي :

- عمالة دنقلة .
- عمالة السودان الشرقي .
- عمالة بربر .
- عمالة السودان الجنوبي الشرقي .
- عمالة السودان الغربي .

---

(14)- نعوم شقي، المصدر السابق، ص ص 933 934 .

(15) -John Alden Williams, (1971), themes islamic civilization, University of California Library of Congress, United State of America, p238.

(16) - هولت، المصدر السابق، ص 131 .

(17)- محمد سعيد القدال، المرجع السابق ، ص 141 .

- عمالة الرجاف[18] .

وقد أعطى لنا المؤرخ فضل الله فضل الله في كتابه العودة بالعبور للجذور لمحة عن التنظيم الإداري من خلال الشكل التالي .

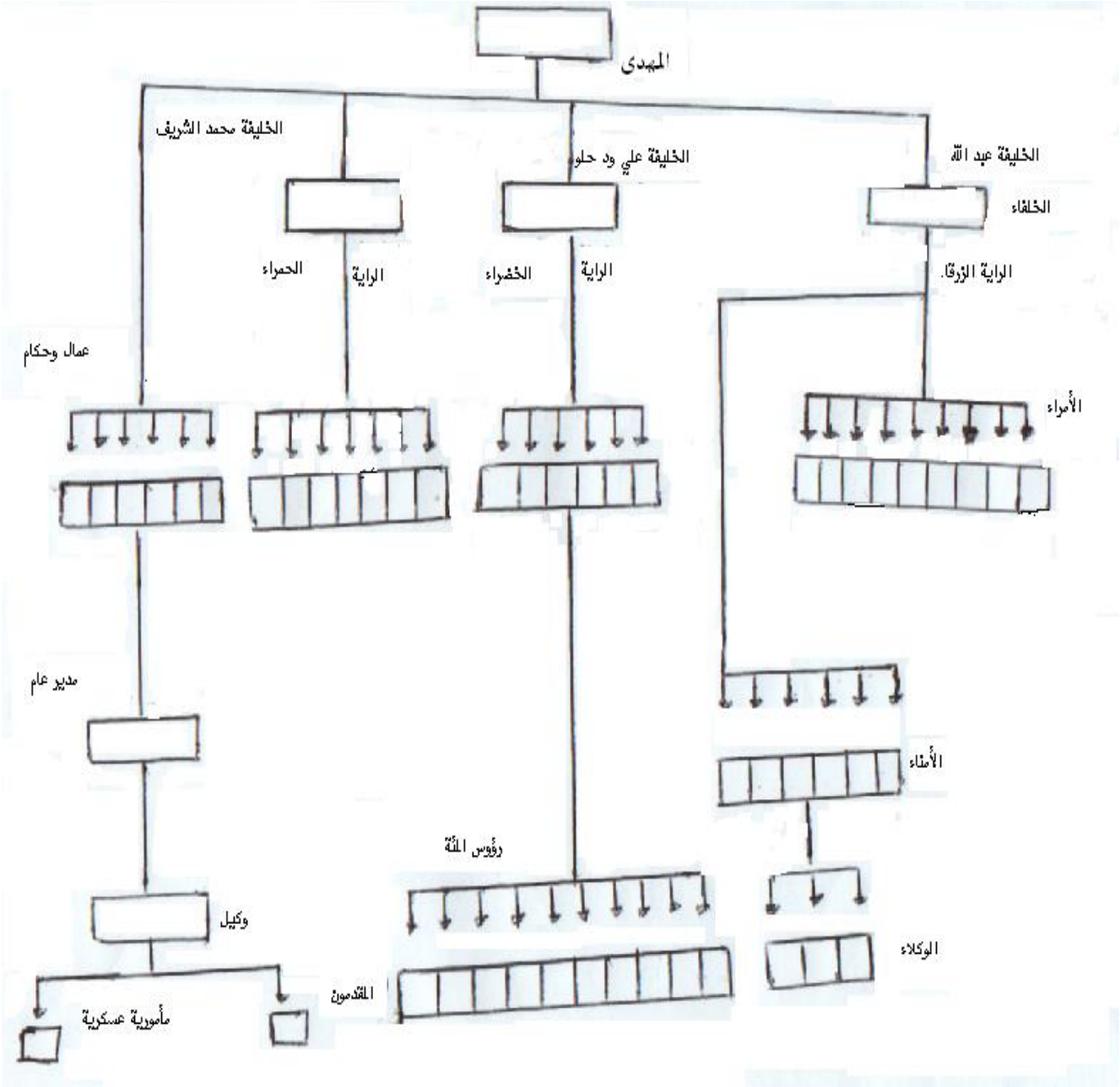

المصدر: فضل الله فضل الله (1990م) [19]

(18)– شوقي الجمل ، المرجع السابق ، ص 678 .

(19)– فضل الله فضل الله، (1990م)، العبور بالعودة للجذور دراسة في السلوك التنظيمي للدولة المهدية، الطبعة الأولى، دار الكتاب الحديث، مصر، ص 47 .

يبدأ المخطط بالمهدي ثم يليه الخلفاء الثلاثة [20] ثم الأمراء وهم قادة الجيش، وحكام المديريات، ويلي الأمراء في الترتيب رؤوس المائة، ويليهم المقدمون وهم رأس العشرة إلى أن تصل لقاعدة المخطط [21] .

أما الجيش فقد كان تحت قيادة المهدي العامة، وأسند راياته إلى خلفائه الثلاثة، فأسند قيادة الراية السوداء (الراية الزرقاء) إلى عبد الله التعايشي، تكونت هذه الراية من مجندي قبائل البقارة الغربيين، و التي كانت منذ الهجرة تمثل أكبر الأقسام عددا، أما الخليفة علي ود حلو فأسندت له قيادة الراية الخضراء، وتكونت من مجندي قبيلتي كنانة ودغيم وانضمت إليها فيما بعد قبائل بقارة الجزيرة وكردفان، باعتبار أن الخليفة علي ود حلو من هذه القبيلة، أما الخليفة محمد الشريف فكان أصغر سنا من سابقيه فقد ولد سنة 1870م وتولى قيادة الراية الحمراء التي كانت تظم الأشراف والأنصار الذين يرجعون إلى أصول نيلية [22] والملاحظ أن محمد احمد المهدي قد نظم الجيش تنظيما عنقوديا فاق آخر ما توصل إليه الفكر الإداري، فقد وضع على كل عشرة جنودا رئيسا أطلق عليه مصطلح مقدم، وعلى كل عشرة مقدمين رئيسا أطلق عليه رأس المائة وعلى كل كتيبة أو جيش أميرا يتبع الأمراء وهم قادة الجيش الذين أسندت لهم الرايات الثلاثة كما رأينا، ويتبع هؤلاء الخلفاء الثلاثة المهدي كما هو مبين في الشكل التالي .

---

(20)- ذكر ثلاثة باعتبار أن الرابع هو السنوسي في ليبيا .

(21) - فضل الله فضل الله، نفسه، ص 48 .

(22)-Bujarrio, E, L état Mahdistte de Soudan, préface par Henei Pensa, libraire oriental Américaine, Paris, France, p p 193 194 .

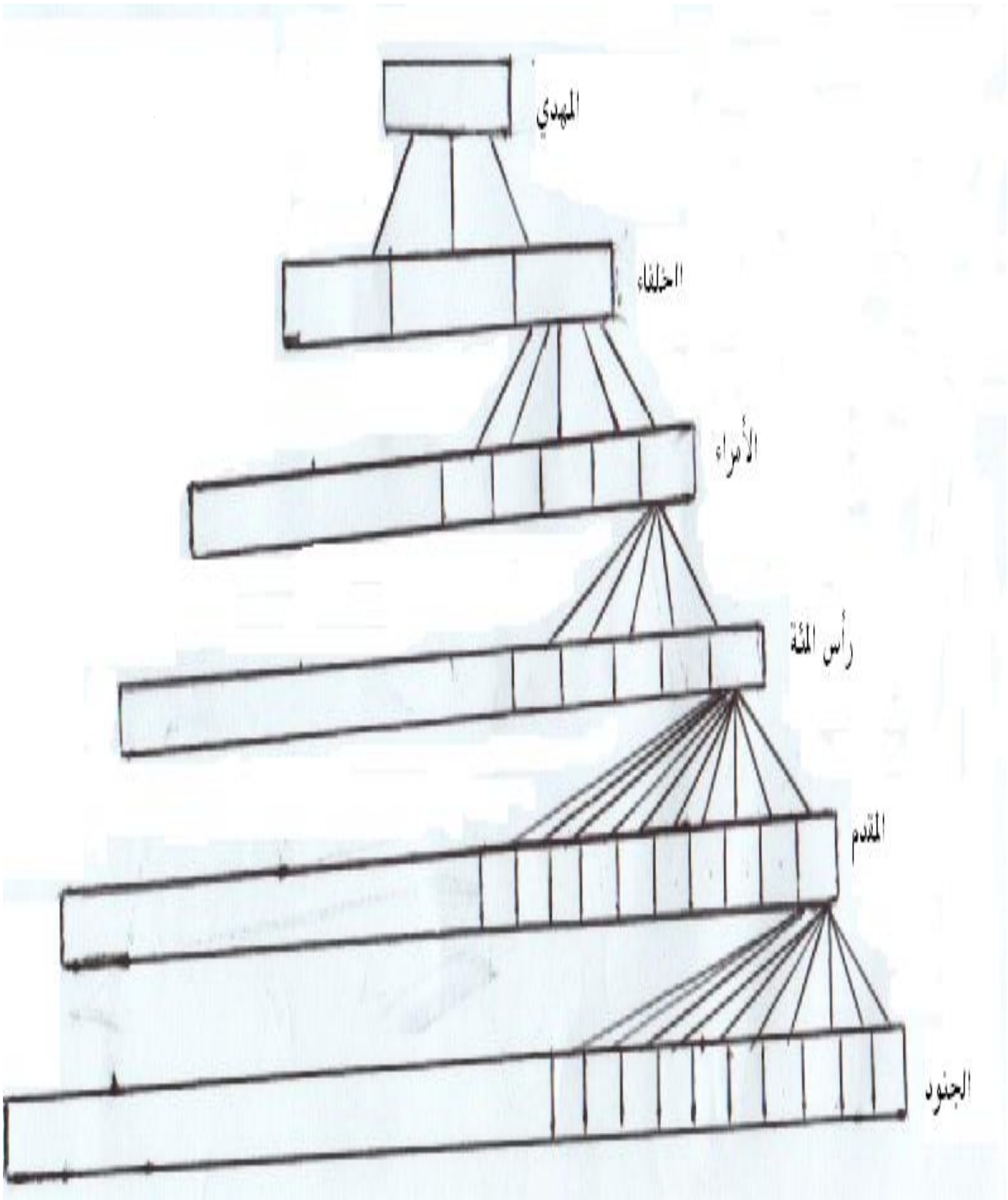

المصدر: فضل الله فضل الله (1990م) [23]

(23)– فضل الله فضل الله، المصدر السابق، ص 88 .

وقد لقب أتباع المهدي بالدراويش، ولصق بهم هذا الاسم في الكتابات الأوروبية [24] واستطاعت قبيلة التعايشي البقارة السيطرة على القوة الأولى في جيش المهدي، وهي الجهادية المشتق اسمها من الجهاد الذي كان هو التعبير الحركي للفكر الإسلامي[25] أما عن عدد القوات التابعة لكل أمير فقد تفاوتت بشكل كبير، لكن الجزء الأكبر منه نجده عند التعايشي، هذا لأنه أول الخلفاء، والمقرب من المهدي .

1-3 القضاء :

أعلن المهدي في منشوراته أن الغرض من رسالته هو إحياء العقيدة وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهكذا بني القضاء في عهده على كل من القرآن والسنة، فأكد لنفسه حق سلطة متميزة في الشؤون القانونية، و اعتبر المهدي أنه ابتداءا من يوم انتصاره في معركة الشلالي أنه يوم بداية للنظام القانوني الجديد، وأعلن من خلال منشور موجه إلى الخلفاء والقادة والمندوبين القضائيين ، والأشخاص التابعين له ما يلي : ((...يوقف النظر في المشاكل التي حدثت قبل يوم 12 رجب 1299هـ تاريخ معركة ماسا باستثناء ما يتعلق منها بالأمانة ، والدين ومال الأيتام والحرية ، ويستمر النظر في الدعاوي التالية لـ 12 رجب وللفتح ...)) [26] .

والقوانين التي اعتمد عليها النظام هي تلك القوانين، التي طبقت كما هو منصوص عليها دون اجتهاد يذكر ، وكان مجال المهدي في الاجتهاد محدود بحكم منطقه الباطني وفي هذا يذكر القدال ((لكن طبيعة المعرفة التي حصرت المعرفة الإيمانية والشريعة بالمصدر الإلهي قد ضيقت نطاق العقل حتى في الأمور التشريعية، وجعلت عملية الاجتهاد في هذه الأمور عملية محدودة جدا، وأنشأت في عقول الفقهاء طبيعة الحذر من استخدام العقل في تطوير الشريعة وتجديدها)) [27] .

اجتهد محمد احمد المهدي في بعض الأمور التي كانت من باب البدع، فقد انتشرت عادة التدخين واستعمال التمباك، فوضع عقوبة السجائر والتمباك أكبر من عقوبة الخمر فعقوبة شارب الخمر 80 جلدة و 08 أيام سجن، أما المدخن فيجلد 80 جلدة ويسجن شهرا، واعتبر القذف والسب خروجا عن الشرع ، ووضع عقوبات رادعة له [28] .

---

(24)- تشرشل، المصدر السابق، ص 73. و انظر أيضا: هولت، المصدر السابق، ص 133.

(25)- محمد عمارة، (1988م)، الإسلام والثورة، الطبعة الثالثة، دار الشروق، لبنان، ص 18 .

(26)- هولت، المصدر السابق، ص 141 .

(27)- محمد سعيد القدال، المرجع السابق ، ص 143 .

(28) -Bujarrio, E, L état Mahdistte de Soudan, préface par Henei Pensa, libraire oriental Americaine, Paris, France.p 201.

تولى محمد أحمد المهدي نفسه المهام العليا للقضاء، لكنه توسع في تفويض أتباعه سلطة الاستماع إلى القضايا والبت فيها، وكان أيضا بإمكان الخلفاء والحكام العسكريين والوكلاء في الأقاليم القيام بأعمال القضاء ، فعين محمد أحمد المهدي في أوائل عهده السيد أحمد جبارة واعتبره قاضي الإسلام، وبعد وفاة أحمد جبارة عين محله أحمد علي هذا الأخير الذي شغل منصبه 12 سنة [29] .

أراد المهدي أن يبسط الأمور ويعيد الشريعة إلى ما كانت عليه أيام النبوة ، فأمر بتعطيل العمل بالمذاهب ، وإبطال الطرق الصوفية وعدم الأخذ بآراء العلماء ، بل الرجوع إلى الكتاب والسنة لأنهما الأصل ، والعمل بما في منشوراته ، فهو يرى أن اجتهاد العلماء على مدى العصور أثار تعقيدا في الشرع لا مبرر له[30] و أن الوقت قد حان لتبرئة الإسلام من تلك الأمور المعقدة وذلك بالرجوع إلى الأصل النقي الصافي النبع [31]

2- النظام الاقتصادي :

اهتم محمد أحمد المهدي منذ البداية بتنظيم الإدارة المالية على أن تطابق الشرع في جمعها وتقسيمها، وكان الدخل في أول الأمر يجمع من مصدرين رئيسين:

الأول : الزكاة و العشور، وقد شرع في جمعها بعد أن مد سيطرته على الخرطوم وهذا ما أرسله إلى أحد نوابه في هذا الشأن ((... حبيبي جزاك الله كل الخير و أعطاك ما هو له أهل فيما بينت له مادة الزكاة على الأحاديث الواردة ، وأما أخذ الزكاة فهي كما ذكرت المناشير حلول المهدية سنة قتل الشقي الهسكي – 05 نوفمبر 1883م – إذ أن أحكام الترك زالت سنتها من الجزيرة، فلذلك تعد الزكاة منها إذ أنها هي وضع حكمنا في تلك الأمكنة، فمنها تؤخذ الزكاة وعلى السنة الناقصة من باب أولى، ولكن إذا سبقت الخدمة قبل تمام السنة الناقصة فلا يخدمونهم فيها حتى تتم السنة الثالثة، ومن لا يخدمونهم في الناقصة يتركونهم إلى حين تمامها فيخدمونهم هذا والسلام)) [32] .

الثاني : الغنائم، التي كانت تجمع من المدن المفتوحة، فتصادر أموال الحكومة وما كان يخبئه الإداريون المصريون من أموال في بيوتهم، إذ أنها جمعت عن طريق الرشاوى والظلم من الأهالي، ومتى جمعت هذه الأموال بدأ النظر في طريقة حفظها وتقسيمها، فقد ذكر المهدي ((... و أما الغنائم وتقسيمها فإن كانوا المجاهدين منقطعين لله فقط ولا غرض لهم سوى الله ولا حرفة لهم سوى الجهاد وليسوا أهل بيع وشراء ولا حرث فليصر جمعها ووضعها في بيت المال والصرف منها شيئا فشيئا ، إذ أنهم لا وسيلة لهم سواه ، أما إذا كانوا من ذوي

---

(29)-Wingate, (1968), Mahdism and the Egyptian Sudan, London, p 483.

(30)- التجاني عبد القادر و مدثر عبد الرحيم الطيب،(2001م)، الإسلام في إفريقيا، دار الفكر المعاصر، لبنان، ص 141.

(31)-Bujarrio , E ,Op , Cit , p 213 .

(32)- نعوم شقير، المصدر السابق، ص 931 .

الحرف ويتجمعون للجهاد لوقت معلوم وعند انتهائه ينفرون لحرفهم فليصر أخذ الخمس منها ، وباقيها ينقسم لهم على وفق كتاب الله وسنة رسوله .))[33].

وهكذا توافرت سابقة لتقسيم الغنائم طبقا للشريعة، فالخمس يعطى للمهدي بصفته إماما للجماعة، والباقي يوزع بين المحاربين[34] وواضح أنه في مثل هذه الحالات يرسل الباقي إلى بيت المال.

وفرضت حكومة المهدي ضريبة على قبائل الغرب طبقا للشريعة، وذلك عقب تمتعها بالسيادة عليها، كما فرضت الزكاة على ماشية القبائل وحبوبها، ففرض العشر على المحاصيل الزراعية من أجل الزكاة ويرد العشر أخر على أنه ضريبة قائمة بذاتها [35] .

كانت معظم الضرائب تجمع عينا، أما التعامل بالنقود فكان نادرا إلا فيما بين سكان الحضر والتجار، وكذلك لقلة المصوغات، فأراد المهدي أن يبين للملأ استقلاله عن الدول وتأسيسه مملكة جديدة بعملة جديدة ، فجمع الصاغة و أمرهم بسك النقود فأنشئوا ضربخانة في بيت المال، وضربوا من الذهب جنيها قلدوا به الجنيه المصري، ولكن جعلوا وزنه أقل منه، كما ضربوا من الفضة ريالا بقطع الريال المجيدي ووزنه وجعلوه سبعة دراهم من فضة ودرهم من نحاس ، وكتبوا على الوجه الواحد ضرب في الهجرة سنة 1302هـ وعلى الوجه الثاني كتبوا بأمر المهدي، وبدأ العمل بنظام النقود من فيفري 1885 م[36] وكان أمين بيت المال هو المسؤول عما يجمع من الأموال [37].

كان لدولة محمد أحمد المهدي نظام إداري محدود وواضح، فلم يعد الخليفة عبد الله التعايشي قائدا حربيا لقبائل البقارة فحسب، بل رئيسا لدولة وحكومة، وذا سلطان مطلق لا يكاد يخضع لشرط أو قيد، فاستطاعت بذلك حركة محمد أحمد المهدي أو كما عرفت لدى الكتاب الأوربيين بالحركة المهدية جمع جميع الفئات المظلومة والمستغلة من القبائل الرحل والفلاحين ، وفقراء المدن والعمال والأرقاء، كما انضمت فئة الأعيان والشيوخ والنظار إلى المهدية في عهدها الأخير، وحاربت جماهير الشعب السوداني كأمة واحدة مما جعل النصر ممكنا [38] .

---

(33)- نعوم شقير، المصدر السابق ، 931.

(34)- Wingate , Op , Cit , p 476.

(35)- هولت، المصدر السابق، ص 139 .

(36)- نعوم شقير ، نفسه، ص 930 .

(37)- شوقي الجمل، المرجع السابق، ص 683 .

(38)- سيرجي سمرنوف، (1994م)، دولة المهدية من وجهة نظر مؤرخ سوفيتي، ترجمة هنري رياض، الطبعة الأولى، دار الجيل، لبنان، ص 117 .

لم يعش المهدي طويلا بعد تحرير الخرطوم ليتابع انتصاراه الباهرة ويمد مهديته كما كان يعتزم على مصر وعلى بلاد الشام وأقطار العالم الأخرى، فقد وافاه الأجل بعد ستة شهور من سقوط الخرطوم قضاها في عاصمته الجديدة أم درمان يؤسس دولته الناشئة ويضم دعائم حكمها ويرسل الجيوش لإخضاع ما لم يخضع له[39].

ويمكن القول أن المهدي قد أسس لدولة إسلامية استمرت بعد وفاته من سنة 1885م إلى غاية 1898م [40]وفي مدى الثلاثة عشر عاما التي استمر فيها السودان حرا مستقلا لم يكن هناك أبدا شعور بالافتقار إلى الهدف المحدد ، إنما كانت الثورة نفسها مندفعة بقوة تحاول تكملة رسالة القائد في الداخل والخارج رغم قسوة الظروف الخارجية التي أحاطت بالسودان، فكانت قوى الاستعمار العالمية الأساسية – في ذلك الوقت – بريطانيا وفرنسا ثم ايطاليا قد ذعرت لنجاح ثورة السودان قلب إفريقيا بتلك الصورة الباهرة، فهرعت تتحالف في السر والعلن وزحفت بجيوشها تحاصر الثورة السودانية في الشمال والجنوب والغرب ثم الشرق [41] .

الخاتمة:

انتصرت الثورة المهدية على الحكم العثماني المصري 1881م–1885م، وتحقق للسودان استقلاله الوطني بعد ثورة شعبية نتج عنها نظام حكم ذو طابع ديني عسكري، وأهم من ذلك كله أنه كان نظاما مركزيا ممعنا في المركزية وأهم ما يميزه سيطرة المهدي على دواليب الحكم، ورفضه التام للنظام القبلي الذي كان مكرسا من قبل والقائم على أساس التفاوت.

أقام محمد أحمد المهدي نظاما يرتكز في الأساس على النظام الإسلامي فنظم إدارته الداخلية، وقسم البلاد إلى عمالات، كما نظم جيشه بأن أعطاه صبغة الحداثة ، لكن القدر شاء أن يأخذه دون أن يتم مشروعه التوسعي فتوفي بعد شهور من فتحه للخرطوم تاركا وراءه هم هذه الدولة لخليفته عبد الله التعايشي، هذا الأخير الذي لم يستطع أن يحافظ على هذا الموروث، وهذا لكثرة المشاكل التي واجها، وتكالب قوى الاستعمار الغربي عليه.

قائمة المصادر والمراجع:

- أبو سليم محمد إبراهيم، (1979م) تاريخ الخرطوم، ط 03، دار الجيل، لبنان.
- أبو سليم محمد إبراهيم، (1989م)، الحركة الفكرية في المهدية، دار جامعة الخرطوم، الخرطوم، السودان.

(39)– أحمد سعي حسنين، (2016م)، تطور الإدارة الأهلية في السودان: دراسة تحليلية في الفترة 1898م–1971م، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان، السودان، ص 127.

(40)– فيصل محمد موسى، (1997م)، موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، الجامعة المفتوحة، ليبيا، ص 103.

(41)– صلاح محي الدين،(1995م)، وقفات في تاريخ السودان ، الطبعة الثالثة، دار ومكتبة الهلال، لبنان، ص 109.

- تشرشل وينتسون، (2006م)، تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان، ترجمة عز الدين محمود، مراجعة يوسف حسن، الطبعة الأولى، دار الشروق، مصر.
- الجمل شوقي، (2008م)، تاريخ سودان وادي النيل حضارته وعلاقاته بمصر من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر الطبعة الأولى، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر.
- حسنين أحمد سعي، (2016م) تطور الإدارة الأهلية في السودان: دراسة تحليلية في الفترة 1898م-1971م، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان، السودان.
- سمرنوف سيرجي، (1994م)، دولة المهدية من وجهة نظر مؤرخ سوفيتي، ترجمة هنري رياض، الطبعة الأولى، دار الجيل، لبنان.
- شلبي عبد الودود، (2001م)، الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر.
- عمارة محمد، (1988م) الإسلام والثورة، الطبعة الثالثة، دار الشروق، لبنان.
- فضل الله فضل الله، (1990م)، العبور بالعودة للجذور دراسة في السلوك التنظيمي للدولة المهدية، الطبعة الأولى، دار الكتاب الحديث، مصر.
- فوزي باشا إبراهيم، (1319هـ)، السودان بين يدي غرودون وكتشنر، الجزء الأول، طبع على نفقة مؤلفه، إدارة جريدة المؤيد الخرطوم، السودان.
- القدال محمد سعيد، (1992م)، الإمام المهدي محمد بن عبد الله 1844م – 1885م، الطبعة الأولى، دار الجيل، لبنان.
- محي الدين صلاح، (1995م)، وقفات في تاريخ السودان، الطبعة الثالثة، دار ومكتبة الهلال، لبنان.
- المهدي الصادق، (2006م)، نحو ثورة ثقافية، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق الدولية، مصر.
- موسى فيصل محمد، (1997م)، موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، الجامعة المفتوحة، ليبيا.
- نعوم شقير، (1967م)، جغرافية وتاريخ السودان، الطبعة الأولى، دار الثقافة، لبنان،.
- هولت، (1978م)، الدولة المهدية في السودان، ترجمة جميل عبيد، مراجعة احمد عبد الرحيم مصطفى، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان.
- Bujarrio , E , L état Mahdistte de Soudan , préface par Henei Pensa , libraire oriental Américaine , Paris , France.
- John Alden Williams,(1971), themes islamic civilization , University of California Library of Congress , United State of America.

- Rolland Oliver and Gervase Mathew ,History of East Africa ,voll 01, Oxford university press ,London.
- Wingate,(1968) , Mahdism and the Egyptian Sudan, London 1968.

المقالات:

- بابكور سالم عمر،(2000م)، أوضاع السودان في عهد الخليفة عبد الله التعايشي، الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار التاسع، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
- الجابري علي، (1975م)، الحركة المهدية في السودان، مجلة الثقافة الجديدة، العدد 76، بغداد، العراق.